مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثاني عشر – العدد الثاني، ص305-342 يونيو 2004

الصَّـــــــــــرْفة

محسن سميح الخالدي
كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية
نابلس – فلسطين

ملخص : يتكلم هذا البحث عن الصَّرْفة وهي أن الله صرف همم العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ويتكلم عن نشأتها وأن أول من جاهر بها هو إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي الذي تأثر بفكر البراهمة، فجاء بهذا القول الذي ينطوي على خبث ودهاء لإنكار إعجاز القرآن في نظمه، ونمت هذه الفكرة في بيئة المعتزلة وتلقفها آخرون بحسن نية أو بخبث طوية، ولم تعد حكراً على المعتزلة، فقد دعا إليها ونافح عنها أناس من أهل السنة والشيعة، وأصبح لها مدلولات متعددة، حيث اختلف معناها ومفهومها عند القائلين بها مما اقتضى ذكر أقوال العلماء فيها، وبيان مفهوم الصَّرْفة عندهم، إذ من الحيف أن نلصقها بكل من قال بها دون أن نبين مراده من قوله، وأيضاً فقد انبرى بعض العلماء لدفع الصَّرْفة عن أناس– وهي ثابتة في حقهم دونتها كتبهم وتناقلتها الأجيال عنهم – مخالفاً في ذلك مناهج النقد العلمي، وكانت خاتمة هذه الدراسة في مبحث تناول دلائل نقض الصَّرْفة وبيان فسادها وبطلانها.

The Diversion

Abstract This paper discusses the diversion ,i.e. Allah diverted the Arabs high-mindedness away from the potentiality of imitating the Glorius Quran. It also discusses its first use stating that the first one to use it openly was Ibrahim Ibn Sayyar Al-Naththam of M'utazilah who was influenced by the Brahmans ideology. He, thus, adopted the interpretation which hid viciousness and cunning to deny the wondrous nature (I'jaz)of the Quran.Such interpretation flourished among the M'utazilah believers and spread to others with good or evil intent and was no longer restricted to the Mu'tazilah. This interpretation was olso called for and supported by figures of sunnah and Shi'ah and was developed to have different connotations and meanings.
Necessity, then, emerges to state the various interpretations of the concept. It is unjust to attribute the concept to all who used it without stating their intention, and, yet, unfair to refute involvement of others since this concept is obviously stated in their writings.
The closing chapter of this study deals with evidence for refuting prevention and stating its imperfection.

الحمد لله الذي كرمنا بالإسلام ورفعنا بالقرآن، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين، أرسله بكتابه المبين الفارق بين الشك واليقين الذي أعجز الفصحاء معارضته، وأعيت الألباب مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فهو كتاب الله

المعجز المبين، وحبل الله المتين الذي هو كما وصفه من أنزله فقال: ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه تنــزيل من حكيم حميد ﴾. [فصلت: 42] وبعد:

فقد تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم وطفق العلماء لها عداً وإحصـــاءً، حتـــى قيـــدها بعضهم بثمانين[1]، وكلما طال الزمان وامتدت القرون في ظل القرآن كشف لهـــم عـــن مكنـــون كنوزه فأفاض بوجه كان من قبل خافياً، ولعل هذا ما دفع السيوطي للقول: "والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه"[2].

غير أن كثرة الأقوال والوجوه في أعجاز القرآن وإن كانت تدل على شرفه ورفعته فـــلا يسلم ببعضها لقائلها، فربما أقحمت بعض وجوه إعجازه مكيدة لهذا الدين بما تنطوي عليـــه مـــن خبث ودهاء، ومن هذه الوجوه (القول بالصَّرْفة) وهو أن الله صرف العـــرب عـــن معارضـــة القرآن الكريم، وهو قول ظاهره الرحمة وباطنه خبث ودهاء، في ظاهره دفاع وعصمة للقرآن أن يجارى، وفي باطنه وحقيقته يحوي تصريحا بنقض إعجاز القرآن في نظمه، فعجباً لوجه إعجـــاز للقرآن ينفي الإعجاز عنه.

ومن هنا فقد اخترت في هذا البحث أن أفرده للكلام عن الصَّرْفة مع أنه قول يتيح لأولي الأبصار بقليل من التفكر والتدبر أن يحكموا عليه بأنه فاسد ساقط متهافت، لذلك فما كان يســـتحق أن يكتب به لولا أن كثيراً من العلماء استحسنوا القول به ودافعوا عنه.

وأكثر ما يسترعي السمع والانتباه ويستدعي التنويه والتنبيه أن بعض الأئمة الأعلام من سادة البيان قد أقروا به ونافحوا عنه وأسسوا له من المعتزلة، والشيعة، وأهل السنة، ولـــو بقـــي القول بالصَّرْفة محصوراً في نطاق الزنادقة أمثال النظام ومن سار على دربه وحام فـــي زيغـــه وضلالاته لكفى رده بتركه، ولعُلم وهن أمره لمجرد التصاقه بهم ونسبته إليهم.

واستدعى أفراد (الصَّرْفة) بالكتابة أيضاً اختلاف معناها عند القائلين بها، فهناك من قال بها نافياً إعجاز القرآن في نظمه، وهناك من أضافها إلى إعجاز القرآن وحفظ للقرآن إعجاز البلاغة والنظم الذي لا يجاري ولا يماثل ولو اجتمعت الإنس والجن.

وههنا تساؤلات عديدة في مجال البحث فإن الباحث يقف في حيرة أمام أقوال القائلين بها، ألم يكن لهم كبير دراية ببلاغة القرآن وإعجازه ...!!، ألم يكن للقرآن ذاك التأثير على نفوسهم؟، ألم يملك عليهم قلوبهم؟ فكيف بهم يقولون بها ابتداءً، وكيف لبعضهم أن يجمع بينها وبين إعجاز القرآن في نظمه؟ وهل لنا أن نلتفت إلى قول من قال: بأن هذا لم ينسب إليهم إلا زوراً وهم برءاء من ذلك؟!

ومن هنا فقد جاء هذا البحث ليبين حقيقة الصَّرْفة ومعناها عند قائليهـا، وليؤكـد علـى فسادها وبطلانها، وقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة على النحو التالي:

المقدمـة: وقد بينت فيها أهمية الموضوع ومشكلة البحث ودوافع الكتابة فيه.

المبحث الأول: معنى الصَّرْفة وبيان نشأتها وبواعث القول بها.

المبحث الثاني: مفهوم الصَّرْفة عند القائلين بها (القائلون بالصَّرْفة).

المبحث الثالث: نقض القول بالصَّرْفة.

الخـاتمة: وفيها ملخص لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

وختاماً، فإنني أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقني لخدمة كتابه الكريم، وأن ينفعني بهديه وأن يكشف لي من مكنون كنوزه، إنه سميع قريب مجيب.

المبحث الأول: معنى الصَّرْفة وبيان نشأتها وبواعث القول بها

أولاً: معنى الصَّرْفة

الصَّرْفة لغـة

الصَّرْف: رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبدالُهُ بغيره [3]، يقال: صَرفه يصرفه صَرْفاً فانصَرَف، وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه[4].

وفي القرآن الكريم: ﴿ ثم صَرَفكم عنهم ليبتليكم ﴾ [آل عمران: 152]، وقوله: ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ﴾ [هود: 8]، وقوله: ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة: 127].

فيجوز أن يكون دعاءً عليهم، وأن يكون ذلك إشارة إلى ما فعله بهم، وقوله: ﴿ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرْفاً ولا نصراً﴾ [الفرقان: 19]، أي لا يقدرون أن يصرفوا أنفسهم عن النار، وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التغيير، والتصريف كالصَّرْف إلا في التكثير، وأكثر ما يقال في صرْف الشيء من حالة إلى حالة ومن أمر إلى أمر، وتصريف الرياح هو صرْفها من حال إلى حال[5].

ويأتي الصَّرْف بمعنى: الميل، والتقلب، والحيلة، والتوبة، وبيع الذهب بالفضة[6]، وأرى أن جميع ما ذكر فيه معنى الانتقال والتحول من حال إلى حال.

والصَّرْفة: هي كوكب نيّر، سميّ بذلك لانصراف الحر عند طلوعه مع الفجر من المشرق وذلك الخريف، وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس وذلك أول الربيع[7].

والعرب تقول: الصَّرْفة ناب الدهر لأنها تفتر عن البرد أو عن الحرّ[8]، وقال ابن قتيبة: سميت بذلك لانصراف البرد وإقبال الحر[9]، وقال القلقشندي: "لأنها تفتر عن فصل الزمانين"[10].

وقد جعلها العرب في أسجاعهم ومن ذلك قولهم: "إذا طلعت الصَّرْفة بكرت الخُرفة وكثرت الطرفة، وهانت للضيف الكلفة"[11].

والصَّرْفة: خرزة من الخرز التي تذكر في الأُخَذِ يستعطف بها الرجال يُصرفون بها عن مذاهبهم ووجوههم[12].

ولعلك تلحظ معي أن سبب التسمية في كل مما سبق ذكره من تلك الأقوال المتقاربة يعود إلى معنى التحول.

الصَّرْفة اصطلاحاً

اختلف معناها عند من قال بها على أقوال ذكر ابن حمزة العلوي ثلاثة منها وهي:

1- إن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع توفر أسبابها لديهم.
2- إنه تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، وهذا السلب يمكن تنـــزيله على وجهين: إما أن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار فأزالها الله عن أفئدتهم ومحاها عنهم، وإما أن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، ولكن الله صرف دواعيهم عن تجديدها مخافة أن تحصل المعارضة.
3- أن يراد بالصَّرْفة أن الله منعهم من المعارضة بالإلجاء على جهة القسر مع كونهم قادرين عليها، وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة، وحاصل الأمر في هـــذه المقالة: انهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن إلا أن الله تعالى منعهم بما سبق ذكره[13].

ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره العلوي قولاً رابعاً وخامساً هما:

4- إن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بما يدانيه مع أنه ليس مقدوراً لهم، وذلك حتى لا يلتبس قولهم على ضعاف العقول والنفوس، ومن لا دراية له بأساليب العرب.
5- إن الصَّرْفة ليست بمعنى الصَّرْف بل بمعنى الانصراف، والمعنى أن العرب قد وقفوا على إعجاز نظم القرآن وما حواه من البلاغة والبيان فصرفوا أنفسهم عن المحاولة لما علموا هول إعجازه وضعف قدراتهم عن مجاراته ومحاكاته.

ويجاب عن المحاولات التي نقلت عن بعضهم في المعارضة أنها مهاترات لم يقصد أصحابها بها حقيقة المعارضة.

ثانياً: نشأة القول بالصَّرْفة

يرى بعضهم[14] أن فكرة القول بالصَّرْفة يرجع إلى تأثر بمصدر أجنبي هندي جاء من اطلاع بعض المتفلسفين من علماء المسلمين على أقوال البراهمة في كتابهم (الفيدا)، حيث يزعم أصحابها أن في مقدورهم الإتيان بأمثالها غير أنهم ممنوعون من ذلك إما منعاً تكليفياً احتراماً لها، أو منعاً تكوينياً بمعنى أن برهما صرفهم بمقتضى التكوين أن يأتوا بمثلها.

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن بعض علماء الفلسفة الكلامية وبعض علماء الفقه قد تأثروا بهذه الأفكار الهندية في عهد أبي جعفر المنصور ومن والاه من حكام بني العباس[15]. أي في العصر الذي عاش به إبراهيم بن سيار النظام، وهو نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث.

ويدعم هذا القول ما ذكره البغدادي والإسفراييني أن النظام – أول من نادى بالصَّرْفة – كان قد أعجب بقول البراهمة وتأثر بهم في مسألة أبطال البنوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفاً من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه[16].

ويذكر الإيجي أن النظام طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة[17]. وعليه فيمكن القول: إن أول من نادى بالصَّرْفة هو النظام ولا يمنع أن يكون قال بها متأثراً بفكر البراهمة.

ويرى د. صلاح الخالدي أن أول من أظهر القول بالصَّرْفة هو عيسى بن صبيح المردار[18] وأن النظام تلقفه عنه وبالغ في القول به حتى نسب له[19]، غير أنني لم أعثر على ما يؤازر هذا القول، بل إن المراجع تنسب منشأ القول بالصَّرْفة إلى النظام، ويدعم هذا أن وفاة النظام على الأرجح قبل وفاة المردار بخمس سنوات.

وذهب بعضهم[20] للقول: إن فكرة الصَّرْفة مدسوسة من أعداء الإسلام، وطعن في نسبتها إلى علماء المسلمين.

يقول الزرقاني رحمه الله: "إني لأعجب من القول بالصَّرْفة في ذاته، ثم ليشتد عجبي وأسفي حين ينسب إلى ثلاثة من علماء المسلمين[21] الذين نرجوهم للدفاع عن القرآن، ونربأ بأمثالهم أن يثيروا هذه الشبهات في إعجاز القرآن!، على أنني أشك كثيراً في نسبة هذه الآراء السقيمة إلى أعلام من العلماء، ويبدوا لي أن الطعن في نسبتها إليهم، والقول بأنها مدسوسة من أعداء الإسلام عليهم أقرب إلى العقول وأقوى في الدليل"[22].

وللباحث على هذا القول ملاحظة هامة هي: إن رد الصَّرْفة بنفي نسبتها إلى قائليها أمر سهل هين غير أنه محفوف بالمخاطر، فالقائل بذلك يوقع نفسه فيما كان يرجو دفعة، إذ أن نسبة هذا القول إلى القائلين به ثابتة إلى العديد من علماء المعتــزلة وأهل السنة، حوتها بطون الكتب

وسطرتها كتب القائلين بها، حيث صدحوا بها علانية، ونسبوها إلى أنفسهم بوضوح، وحفظ لنا هذا في الكثير من الكتب، أفيجوز لنا بعد هذا أن نطعن بالتزوير ونشكك في كل ما نقل إلينا وما سطره علماؤنا!!، فإنا إن فعلنا ذلك لم يبق لنا فيما حوته كتبنا قول تسلم نسبته لقائله وكتاب تصح نسبته لمؤلفه، وحينها يسهل على من شاء أن يقول ما شاء وينفي ما شاء، ولا حجة في السطور ولو كثرت، ولا في الأقوال ولو عن أصحابها صدرت وإلى قائليها نسبت.

ولعل ما يقيم الحجة على بطلان هذا ويبرهن على سلامة الاستدلال ما سنورده لاحقاً عند إيراد أقوال القائلين بالصَّرْفة.

وينص أحمد سيد عمار أن عبد الكريم الخطيب قد تابع الزرقاني على رأيه حيث قال: "الرأي الثاني، وأصحابه ينفون نسبة هذا القول إلى المعتزلة أو إلى النظام ومن تابعة، ومن هؤلاء الشيخ الزرقاني ... وقد تابع الزرقاني على رأيه الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه الإعجاز في دراسات السابقين"[23].

والحق أن نسبة هذا القول إلى الأستاذ عبد الكريم الخطيب لا يصح، لأن الخطيب قد نص في كتابه المذكور على نسبة القول بالصَّرْفة إلى النظام والجاحظ، فقال تحت عنوان: الجاحظ والقول بالصَّرْفة: "ثم لا تعجب إذا رأيت الجاحظ يقول بالصَّرْفة في وجه الإعجاز في القرآن، فالجاحظ كما نعلم وجه من وجوه المعتزلة وراس من رؤوسهم ... ونعلم أيضاً أن النظام وهو شيخ من شيوخ المعتزلة قد كان أول من جاهر بهذا الرأي وفتح للناس باب الكلام فيه ..."[24].

ومن هنا فإننا نستطيع القول: إن الصَّرْفة نشأت في أحضان المعتزلة بعد أن ثبت أنها وليد أفكارهم.

وربما قال قائل: صحيح إن أول من جاهر بها وأعلنها ودعا إليها ولاحى عنها هو النظام الذي عدَّه بعضهم رأساً من رؤوس المعتزلة غير أننا نجد مقابل هذا أن أكثر المعتزلة يكفرون النظام. قال البغدادي: "وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام"[25].

وللإجابة على ذلك نقول: إن متابعة العديد من علماء المعتزلة لقول النظام وتلقفهم إياه بالرضا والقبول يدحض هذه المزاعم، فان أوائل من قال بالصَّرْفة هم من المعتزلة.

وينبغي التنويه هنا إلى أننا لا نستطيع أن نجعل القول بالصَّرْفة خاصاً بالمعتزلة وحدهم، أو ننـــزل هذا القول على المعتزلة عموماً، فعند التدقيق نجد أن العديد من أئمة أهل السنة قد قالوا بها أيضاً، وهذا لا يعني أن أهل السنة يقرون بها البتة، وكذلك فإن أكثر المعتزلة يقولون إن القرآن معجز في نظمه، وإنما كان القصد مما ذكرنا الإشارة إلى منبت القول ونشأته وأن أوائل من أشاعوا القول به هم المعتزلة.

ثالثاً: بواعث القول بالصَّرْفة

إن بواعث القول بالصَّرْفة تختلف باختلاف حال القائلين بها ومرادهم من قولهم، وأرى أنهم ينقسمون إلى قسمين:

الأول: ملحد زنديق ضال.

والثاني: شخص التبست عليه الأمور واختلط عليه مفهوم المصطلح.

<u>أما الأول:</u> فقد يكون من وراء قوله أمور منها

1- الدس في الدين والطعن في النبوات، وذلك من خلال الطعن في معجزة الرسول الخالدة، وقد علل البغدادي دوافع النظام للقول بالصَّرْفة وإنكار معجزة القرآن الكريم في نظمه أنه قال بها ليتوصل إلى إنكار معجزات نبينا عليه السلام وإنكار نبوته[26].

2- الشك والتردد لوجود بعض الكلمات في لغة العرب توافق ما في القرآن حسب ظنهم وتذوقهم للكلام، فقد بهرتهم تلك الكلمات المؤثرة من كلام العرب ودعاهم ذلك للقول: إن نظم هذا الكلام يوازي نظم القرآن.

قال صاحب الطراز: "والذي غر هؤلاء حتى زعموا هذه المقالة ما يرون من الكلمات الرشيقة والبلاغات الحسنة، والفصاحات المستحسنة الجامعة لكل الأساليب البلاغية في كلام العرب الموافقة لما في القرآن، فزعم هؤلاء أن كل من قدر على ما ذكرناه من تلك الأساليب البديعة لا يقصر عن معارضته خلا ما عَرَض من منع الله إياهم"[27].

<u>وأما الثاني</u>: وهو أن يكون القائل بذلك شخص التبست علية الأمور واختلط علية مفهوم المصطلح.

ولعلنا من خلال هذا القول نلتمس بعض العذر لبعض العلماء الأجلاء القائلين بالصَّرْفة ونرجع قولهم بها لأحد أمرين:

<u>الأول</u>: لما كانت الصَّرْفة في قول مثبتها تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يثبت من خلال القول بها تدخل قدرة الله تعالى في صرْف قدرات العرب وطاقاتهم عن الإتيان بمثله تأييداً لرسوله ودلالة على صدقه فيما جاء به، فقد بهر عقولهم هذا القول وانسابوا ليقولوا به من غير روية ولا تمحيص، ولعل هذا ما يعلل قول البيهقي بها - وهو إمام من أئمة أهل السنة - فقد جمع البيهقي بين الصَّرْفة وبين إعجاز القرآن في نظمه ولا أراهما يجتمعان، فربما يلتقيان على إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم غير أنهما لا يلتقيان على إثبات الإعجاز لذات القرآن، فالمعجز في قول القائلين بالصَّرْفة هو فعل الله الذي صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن، ولعل الذي

دفع البيهقي إلى القول بذلك أن القول بالصَّرْفة يدل على صدق حامل القرآن حتى لو اختلف طريق الاستدلال، وهو ما أراده البيهقي من الباب الذي عقده في كتابه (الاعتقاد) بعنوان: "إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم".

حيث قال: "ومنهم من قال: إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه"(28).

الثاني: أما السبب الآخر الذي ساق هؤلاء للقول بالصَّرْفة فهو عدم وجود التعريف أو المفهوم المحدد الموحد لهذا المصطلح لاختلاف إطلاقاته عند القائلين به.

لذلك وجب الوقوف عند أقوال القائلين بالصَّرْفة وتمحيصها حتى يتجلى مرادهم ومقصودهم من قولهم.

المبحث الثاني: مفهوم الصَّرْفة عند القائلين بها

بما أن الصَّرْفة يختلف مفهومها عند القائلين بها فمن الخطأ أن ننسب القول بها جملة إلى قائليها، إذ ليس لها مصطلح واحد يتفق علية الجميع، ومن هنا فلا يجوز لنا أن نلحق القول بها لهذا أو ذاك إلا إذا حددنا لكل من أولئك العلماء أي إطلاق أراد وأي مفهوم يعتمد.

وأرى أن هذا المصطلح (الصَّرْفة) قد عام مفهومة عند السابقين ومن تبعهم من اللاحقين بحيث أصبح يوازي في عدم ضبط معناه مفهوم (الديمقراطية) الآن، فالمصطلح الأخير قد يستخدم في وقتنا الحاضر على ألسنة كثير من المفكرين الإسلاميين بمعنى الحرية، أو النظام الشوري ... وقد يطلق ويراد به حقيقة معناه وما أسس له من حكم الشعب للشعب وإلغاء حكم القرآن للإنسان، فمن اعتقده بالمعنى الثاني كفر.

وهنا: هل نأخذ كلا القائلين بهذا المصطلح بحكم واحد!! أليس من الحيف أن نجعلهما سواء. ومن هنا نقول: إن الأصل تجنب ما يوقع في الشبهات من الألفاظ والمصطلحات، واختيار الألفاظ الدقيقة المعبرة في موضوع إعجاز القرآن، وعدم متابعة أهل الزيغ في مصطلحات ابتدعوها، ألم ينبه الله عز وجل المؤمنين إلى عدم استخدام كلمة (راعنا) لما أن كان لها دلالاتها عند اليهود لما تحمله من شتم وسب وأرشدهم إلى استبدالها بكلمة (انظرنا) قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة: 114]، غير أنه وقد حصل في موضوع الصَّرْفة فينبغي لنا أن نوضح مفهوم كل واحد منهم حتى لا نظلم هذا أو ذاك ونقوله ما لم يقل،

ومن هنا كان هذا المبحث للوقوف على أقوال أشهر العلماء الذين قالوا بالصَّرْفة[29] مع بيان مرادهم من قولهم وهم:

1- النظام (معتزلي، ت: 221)

أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري المتكلم، كان على مذهب المعتزلة تكلم في القدر، وانفرد بمسائل وهو شيخ الجاحظ.

قال الذهبي: "ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة، وقال بعضهم كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويخفي ذلك.. ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران فمات في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين"[30].

وذكر ابن قتيبة عن النظام أنه: "شاطر من الشطار يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت على جرائرها، ويدخل في الأدناس ويرتكب الفواحش والشائنات"[31].

وسمي بالنظام لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة وليس لنظمه الكلام المنثور والشعر الموزون[32].

مفهوم الصَّرْفة عند النظام

هي صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاّهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة"[33].

قال أبو الحسن الأشعري: "قال النظام: الآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"[34].

ويقول البغدادي في الفضيحة الخامسة عشرة من فضائح النظام وهي قوله: "إن نظم القرآن وحسن تأليفه وكلماته ليس بمعجز للنبي عليه السلام ولا دلالة صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة فيه على صدقه ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف"[35].

وقال الإسفراييني: "ومن فضائحه قوله في القرآن أنه لا معجزة في نظمه وكان ينكر سائر المعجزات مثل انشقاق القمر ..."[36].

2- المردار (معتزلي، ت: 226)

أبو موسى عيسى بن صبيح البصري الملقب بالمردار[37]، وإليه تنسب المردارية وكان يقال له راهب المعتزلة[38]. وهو من كبار المعتزلة ومن أرباب التصانيف الغزيرة تزهد وتعبد

وتفرد بمسائل ممقوتة، وبالغ في القول بخلق القرآن وكفَّر من قال بقدمه، وكفَّر من لابس السلطان مات سنة ست وعشرين ومائتين[39].

مفهوم الصَّرْفة عند المردار

ممن عزا القول بالصَّرْفة إلى المردار: البغدادي حيث قال: "وكان هذا المردار يزعم أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما قال النظام وفي هذا عناد منهما .."[40].

وكذا عزا إليه الشهرستاني أنه قال: "إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة"[41]. وممن عزا إليه القول بذلك الجرجاني[42]، والإيجي[43].

3- الجاحظ (معتزلي، ت: 255)

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف أخذ عن النظام، وكان أحد الأذكياء وهو رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ومات سنة خمس وخمسين ومائتين[44].

مفهوم الصَّرْفة عند الجاحظ

إن المطلع على كتب الجاحظ يرى أنه يقول بالصَّرْفة صراحة في أكثر من موضع بل إنه يتوسع بلفظ هذا المصطلح ويطلقه على أكثر من موقف أو حالة لأمور حصلت مع الأمم السابقة منها عند الكلام عن سليمان والهدهد، وعند الكلام عن تيه بني إسرائيل، حيث قال: "فإنا نقول بالصَّرْفة في عامة هذه الأصول، وفي هذه الأبواب، كنحو ما ألقى على قلوب بني إسرائيل وهم يجولون في التيه ... مع قرب ما بين طرفي التيه، وقد كان طريقاً مسلوكاً، وإنّما سموه التيه حين تاهوا فيه لأن الله تعالى حيث أراد أن يمتحنهم ويبتليهم صرف أوهامهم، ومثل ذلك صنيعه في أوهام الأمة التي كان سليمان ملكها ونبيها..."[45].

وقال في موضع آخر: "... ومثل ذلك ما رَفَع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنظمه، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه"[46].

ويظهر من خلال هذه الأقوال التي أوردناها من كتاب الجاحظ نفسه أنه يقول بالصَّرْفة صراحة وبكل وضوح ومع ذلك فهو يرى أن القرآن معجز بنظمه وإليك بعض ما يؤيد ذلك من أقواله:

1- في كتاب البيان والتبيين له قال: "ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجم أنهم كانوا عن ذلك عجزة"[47].

2- في كتابه الحيوان قال: "وفي كتابنا المنــزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد"[48].

3- ونقل السيوطي عن الجاحظ قوله: "بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً وأحكم ما كانت لغة ... وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريعاً لعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستوراً وظهر منه ما كان خفياً ... "[49].

4- وفي كتابه حجج النبوة قال: "لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها"[50]. وقد نقل عنه هذا القول الجرجاني في دلائل الإعجاز وعزاه للجاحظ في كتاب النبوة[51].

5- وقال أيضاً في حجج النبوة: "... وجاء (محمد صلى الله عليه وسلم) بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه، وأنه تحدي البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفة، ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه"[52].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الجاحظ قد جمع بين الصَّرْفة وإعجاز القرآن في نظمه ولنا هنا أن نسأل: هل الصَّرْفة التي قال بها الجاحظ هي ذاتها التي قال بها شيخه النظام؟ وكيف جاز له أن يجمع بين القولين؟

لقد استوقف قول الجاحظ في إعجاز القرآن العديد من الباحثين خاصة أنه جمع بين إعجاز القرآن بنظمه وإعجازه بالصَّرْفة، وأخالهما لا يلتقيان ولا يجتمعان فكيف به وهو إمام من أئمة البلاغة وفرسان البيان يتجه إلى هذا المنحنى؟ هذا ما حيَّر بعض الباحثين عند وقوفهم على رأي الجاحظ في الإعجاز، فإننا نجد نعيم الحمصي يقول[53]: "وذكر للجاحظ قولان في الإعجاز: القول بالصَّرْفة والقول بإعجاز الأسلوب، فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه

النظام وبالثاني حين استقل بنفسه أو أنه جمع بين الرأيين معاً؟ لا ندري! فإنه يذكر الرأيين في كتابه الحيوان متتاليين تقريباً".

ثم استبعد الحمصي أن يكون الجاحظ قد قال بالرأيين معاً في وقت واحد قائلاً: "وأنا أستبعد أن يكون الجاحظ قال بالرأيين معاً في وقت واحد لما نعرفه عنه في قوة التفكير ووضوح الحجة فإن الرأيين متناقضان".

وأنت ترى أن الذي حاول الكاتب نفيه عن الجاحظ من جمع القولين معا في وقت واحد ليس بأنقص مما أثبته له من التناقض واضطراب الرأي في كتاب واحد بل في صفحات متقاربة، فما كان لعلاّمة فهامة كالجاحظ أن يناقض نفسه هذا التناقض البين الواضح في صفحات متتالية من كتاب واحد.

ويرى الرافعي أن الجاحظ لم يسلم من القول بالصَّرْفة وأنه قد أخفاها وأومأ إليها عن عرض[54].

وللإجابة على ما سبق من تساؤلات حول موقف الجاحظ من إعجاز القرآن نقول:

أولاً: لقد نادى الجاحظ بالصَّرْفة صراحة وبكل وضوح وهي تختلف تماماً عن تلك التي نادى بها شيخة النظام من قبل، فالمعجز عند الأخير لا يكمن في ذات القرآن بل هو أمر خارج عنه فلا ميزة للقرآن عن غيره من كلام العرب، ولو خلى بينهم وبين معارضته لجاءوا بما هو أحسن منه في النظم والتأليف.

فالمعجز عنده الصَّرْف لا القرآن المصروف عنه، أما الجاحظ فإنه يرى أن القرآن بليغ معجز في نظمه، وهو بذاته ينقض الصَّرْفة التي نادى بها النظام، وينكر على أستاذه القول بالصَّرْفة حيث قال في صدر كتابه (في خلق القرآن) الذي ألفه للفتح بن خاقان[55] بناءً على طلبه، حيث قال فيه: "فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان، فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن خلق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنـــزيل وليس ببرهان، ولا دلالة، فلما ظننت أني بلغت أقصى محبتك وأتيت على معنى صنعك أتاني كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن"[56].

ثانياً: قال الجاحظ بالصَّرْفة بعد أن أثبت إعجاز القرآن في نظمه وبلاغته، وهو ينظر للصَّرْفة على أنها لطف من الله بعباده حيث أزال بالصَّرْفة الشكوك والأوهام والحيرة والتردد الذي قد ينشأ في ذهن من لا دراية له بالفصيح والأفصح من الكلام، وذلك حتى لا يأتي أحدهم بشيء يعارض

فيه القرآن فيلتبس هذا على خفاف العقول ومن ليس له باع بلغة العرب فيثير في نفوسهم الشبهة والقلق من جهة إعجاز بلاغة القرآن، كما أنه قد يكون مستمسكاً لأهل الشغب فيطلبون المحاكمة بين القرآن وما عورض به ويكثر القيل والقال، ولذلك قطع الله عليهم هذا الطريق وصرفهم عن الإتيان بما يداني القرآن على أنه لو خلاهم لكانوا عاجزين عن الإتيان بمثله.

وهذا نجده جلياً بيناً في قول الجاحظ حيث قال بعد كلامه عن الصَّرْفة: "ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه (أي في معارضته)، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظُمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب، والنساء وأشباه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب، ولكثر القيل والقال"[57].

وقال في موضع آخر: "وذكرنا من صرف أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن، ولم يأتوا به مضطرباً ولا ملفّقاً ولا مستكرهاً، إذا كان في ذلك لأهل الشغب متعلّق"[58].

وربما يسوق قول الجاحظ في مفهوم الصَّرْفة ما نراه من معارضات القرآن فإنها سيقت من باب السخرية والاستهزاء، وأن الناظر فيها لا يجد فيها الجدية في معارضة القرآن.

وهنا نقول: لا يعد ذلك دليلاً للجاحظ على ما ذهب إليه بل الأمر خلاف ذلك، فمسيلمة وأمثاله لما نظروا في القرآن علموا أن لا طائل من معارضته وأن لا قبل لهم بالإتيان بمثله فتحولوا عن المعارضة إلى السخرية والاستهزاء.

4- الرماني (معتزلي، ت: 384)

هو العلاّمة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي، أخذ عن الزجاج وابن دريد وطائفة، وصنف في التفسير واللغة والنحو والكلام، مات سنة أربع وثمانين وثلاث مائة عن ثمان وثمانين سنة[59].

ووجوه الإعجاز عند الرماني متعددة قال الرماني: "ووجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصَّرْفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقص العادة، وقياسه بكل معجزة"[60].

مفهوم الصَّرْفة عند الرماني

قال الرماني: "وأما الصَّرْفة: فهي صرف الهمم عن المعارضة وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن

العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول[61].

ويتضح من خلال وجوه الإعجاز التي ذكرها الرماني أنه يقر ببلاغة القرآن غير أنه يمزج معها الصَّرْفة، وهذا ما يجعله يتفق مع الجاحظ في مفهوم الصَّرْفة، أي أن القرآن معجز ببلاغته وأن الله صرف همم العرب عن معارضته خوفاً من أن يلتبس على ضعاف النفوس والعقول، وهذا يخالف قول النظام الذي يزعم أن الله لو لم يصرف العرب لجاءوا بمثل القرآن.

ولعل جمع الرماني لهذين الوجهين معاً ألبس الأمر على بعض الكتاب، فقد نقل نعيم الحمصي عن عبد العليم الهندي في مقالة له عن إعجاز القرآن قوله: "ونرى هنا كيف أن الرماني جمع بين حجتي الأسلوب والصَّرْفة الذين ينفي الواحد منهما الآخر، وهذه النقطة في التعارض قد ضاعت على مرور الزمن، وأصبح يمكن أن يوضع نظريتان متعارضتان جنباً إلى جنب"[62]، والحق أن الرماني كان متيقظاً لطبيعة الفرق بين إعجاز البلاغة والصَّرْفة ولكنه جمع بينهما على منهج سلفة الجاحظ على نحو سبق بيانه.

5- القاضي عبد الجبار (معتزلي، ت: 415)

القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل المتكلم شيخ المعتزلة أبو الحسن الهمذاني من كبار فقهاء الشافعية مات سنة خمس عشرة وأربعمائة[63].

رأى القاضي عبد الجبار في الصَّرْفة

ذهب عبد الجبار إلى أن إعجاز القرآن يتمثل في اختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة[64]، ويرى عبد الجبار أن عجز العرب عن معارضته لعجزهم عن الإتيان بمثله[65]، وقد ردَّ بشدة على القائلين بالصَّرْفة وأبطل رأيهم[66]، وبيّن أن العرب علموا تعذر مثله منهم، فصار علمهم صرْفاً لهم عن المعارضة، حيث قال: "إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنها غير ممكنة ...، ولولا علمهم بذلك لم تكن لتنصرف دواعيهم، لأنا نجعل انصراف دواعيهم تابعاً لمعرفتهم بأنها متعذرة"[67].

وعلى هذا فالصَّرْفة التي أشار إليها عبد الجبار تختلف تماماً عنها عند كل من سبقه، فهي صرفة نابعة من ذات العرب أنفسهم لعلمهم أن الإتيان بمثل القرآن ليس في مقدورهم فصرفوا أنفسهم عن معارضته ولم يشتغلوا بذلك لإقرارهم في أنفسهم بعجزهم إن فعلوا ذلك،

وصورة ذلك كإنسان قيل له: انقل هذا الجبل بمفردك من مكانه إلى بلدة أخرى فوقف وتأمل ما قيل له ثم انصرف لعجزه أن يقوم بذلك.

6- الإسفراييني (من أهل السنة، ت: 418هـ)

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفراييني الأصولي الشافعي الملقب بركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، كان من أئمة الأشعرية، توفي بنيسابور سنة ثماني عشرة وأربعمائة،[68].

الصَّرْفة عند الإسفراييني

ممن عزا إليه القول بالصَّرْفة الألوسي حيث قال: "قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والنظام: إعجازه بصرْف دواعي بلغاء العرب عن معارضته"[69].

وذكر الزرقاني[70] أن القول بالصَّرْفة يعزى إلى أبي إسحاق الإسفراييني من أهل السنة، وكذا ذكر غيرة من الباحثين[71].

ولم أقف على حقيقة مضمون الصَّرْفة عند الإسفراييني في مراجعه غير أن ما عزاه إليه الألوسي يشير إلى أنه يقول بالصَّرْفة، ولكن ليس في قول الألوسي إشارة إلى أنه يساوي النظام في نفي إعجاز القرآن في نظمه.

7- الشريف المرتضى (شيعي معتزلي، ت:436)

العلاّمة الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن حسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي[72]، تواليفه كثيرة، كان من الأذكياء المتبحرين في الكلام والأدب والشعر ولكنه إمامي جلد، وهو معتزلي متهم بوضع نهج البلاغة المكذوب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الذهبي: "في تواليفه سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من علم لا ينفع، توفي المرتضى في سنة ست وثلاثين وأربع مائة".

مفهوم الصَّرْفة عند المرتضى

يرى المرتضى أن الله سلب العرب العلوم التي يحتاجون إليها من أجل المعارضة قال الإيجي: "وقال المرتضى بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة"[73]، وذات القول عزاه أيضاً إلى المرتضى الألوسي[74]، وعبد الكريم الخطيب[75]، والرافعي[76].

ويبقى هنا أن نفهم مراد المرتضى عن ماهية تلك العلوم التي سلبها الله من العرب. والظاهر أنها علوم معينة على الإتيان بنظم يماثل نظم القرآن، غير أن الرافعي يرى أن تلك العلوم هي ما حملته ألفاظ القرآن من المعاني التي لم يكونوا على علم بها لأنهم لم يكونوا من أهل العلم حيث قال:

"وقال المرتضى من الشيعة بل معنى الصَّرْفة أن الله سلبهم العلوم ... التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن، فكأنه يقول: إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان في زمنهم، وهذا رأي بين الخلط كما ترى"[77].

وممن نبه على عدم صحة تعليل الرافعي لكلام المرتضى نعيم الحمصي حيث قال: "ونلاحظ أن بسط الرافعي رأي المرتضى خطأ، لأن معنى سلبهم العلوم أنها كانت موجودة فيهم فتكون الصَّرْفة بسلبهم العلوم، والرافعي فسره بأنهم لم يكونوا بطبيعتهم عارفين بهذه العلوم فإذن لم يسلبهم الله شيئاً، فأين الصَّرْفة إذن؟ ويظهر أن سبب هذا الخطأ أن الرافعي فهم من معنى العلوم غير ما يقصده منها المرتضى من أنها العلوم المساعدة على نظم الكلام"[78].

ويرد ههنا سؤال لمن نظر إلى رأى المرتضى من خلال قول الرافعي هو: هل كان التحدي للعرب بنظم يحمل معنى لم يكن معلوماً لديهم لأنهم لم يكونوا من أهل العلوم؟، وما قيمة كتاب أو خطاب لم يفهمه المخاطب؟

وعلى هذا يتقرر أن الصَّرْفة عند المرتضى هي عدم القدرة على المعارضة لأنهم سلبوا مقوماتها، وما يساعدهم من المعارف عليها بعد أن كانت متأصلة فيهم، وهي تختلف في مفهومها عن الصَّرْفة عند النظام لأنها عند الأخير عدم معارضتهم للقرآن لأن الله صرف قلوبهم عن ذلك، ولو خلا بينهم وبين الإتيان بمثله لقدروا على ذلك.

8- الماوردي (من أهل السنة متهم الاعتزال، ت: 450)

علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي، كان من وجوه الفقهاء الشافعين وله تصانيف عدة، وكان ثقة[79].

وذكر الذهبي عن أبي عمرو بن الصلاح أن الماوردي متهم بالاعتزال وأنه كان لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة ويوافقهم في العديد من الأمور[80].

وفي ميزان الاعتدال ذكر الذهبي أنه صدوق في نفسه لكنه معتزلي[81]، وقال ابن حجر: "لا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال"[5]، مات سنة خمسين وأربعمائة.

وإنّما أوردت ما سبق عن مذهبه للإشارة إلى أنه إن لم يكن معتزلياً فربما كان قوله بالصَّرْفة نتيجة لتأثره بهم.

مفهوم الصَّرْفة عند الماوردي

ينص الماوردي على الصَّرْفة صراحة ويذكرها ضمن الوجوه المتعددة لإعجاز القرآن الكريم. قال الماوردي: "فصل الصَّرْفة الوجه العشرون من إعجازه: الصَّرْفة عن معارضته واختلف من قال بها هل صرفوا عن القدرة على معارضته أو صرفوا عن معارضته مع دخوله في مقدورهم على قولين: أحدهما أنهم صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوه، والقول الثاني: أنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم، والصَّرْفة إعجاز على القولين معاً في قول من نقاها وأثبتها"[82].

ثم يقول بعد أن أنهى الوجه العشرين وهو الصَّرْفة: "فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر وحجاجه أظهر"[83].

9- ابن حزم الأندلسي (ظاهري، ت: 456هـ)

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي الحافظ المتكلم الأديب الظاهري[84]، قال الذهبي: "أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء وفتشوها انتقاداً واستفادة وأخذاً ومؤاخذه، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون ومرة يعجبون ومن تفرده يهزؤون، وفي الجملة فالكمال عزيز ..."، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، وقيل سبع وخمسين وكان عمره إحدى وسبعين سنة.

مفهوم الصَّرْفة عند ابن حزم

ينص ابن حزم على القول بالصَّرْفة صراحة في كتابه الفصل وينص على أنها الوجه الرئيسي لإعجاز القرآن الكريم ويضيف إليها إعجاز النظم والإخبار بالغيوب غير أن مفهوم الصَّرْفة عند ابن حزم مختلف عن غيره فإنك تجده ينتصر للقول بإعجاز القرآن في نظمه، ثم يناقش القائلين بأن إعجاز القرآن في أعلى درج البلاغة ويبين بطلان قولهم حتى إن القارئ ليتوهم أنه ينفي البلاغة عن القرآن ويجاري النظام بمفهوم الصَّرْفة وإذا به يعود ويؤكد أن الله بلغ بالقرآن الغاية التي لا شئ أبلغ منها، وقد يظن هنا أنه وقع بالتناقض.

فلماذا ينفي البلاغة ثم يثبتها؟ حقيقة إن قوله في الإعجاز مضطرب غير أن الجواب من وجهة نظره: أن القرآن معجز لأنه كلام الله ومع ذلك لا يجوز أن يقال بليغ مقارنة مع كلام الناس، بل إنه بليغ لأنه كلام الله الذي لا يساوى بكلام الناس، وإليك بيان دلالة ما ذكر من كتابه:

أما فيما يتعلق بالصَّرْفة فقد قال: "قد ذكرنا قيام البرهان على أن القرآن معجز قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن"[85].

وقال أيضاً: "إن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله، ورفع عنهم القوة في ذلك جملة"[86].

ومما يؤكد أن النظم عنده معجز قوله: "قال بعض أهل الكلام إن نظمه ليس معجزاً وإنما إعجازه ما فيه من الإخبار بالغيوب، وقال سائر أهل الإسلام بل كلا الأمرين معجز نظمه وما فيه من الإخبار بالغيوب، وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو ضلال ..."[87].

وفي معرض رده على الذين قالوا إن وجه إعجازه لأنه في أعلى درج البلاغة قال: "قالت طائفة وجه إعجازه كونه في أعلى مراتب البلاغة، وقالت طوائف: إنما وجه إعجازه أن الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط، فأما الطائفة التي قالت: إنما إعجازه لأنه في أعلى درج البلاغة فإنهم شغبوا في ذلك..."[88]، ثم شرع في تبيين بطلان قولهم وخلص من ذلك ليقول:"... فلا بد لهم من هذه الخطة أو من المصير إلى قولنا إن الله تعالى منع من معارضته فقط".

وعن بلاغة القرآن يقول: "وقد ظن قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن في أعلى طبقات البلاغة، قال: وهذا خطأ شديد ولو كان ذلك – وقد أبى الله عز وجل أن يكون – لما كان حينئذ معجزة لأن هذه صفة كل باسق في طبقته والشيء الذي هو كذلك وإن كان قد سبق في وقت ما فلا يؤمن أن يأتي في غد ما يقاربه بل يفوقه"، ثم بين أن الإعجاز في الصَّرْفة، وقال بعد ذلك: "وقد بينا في غير هذا المكان أن القرآن

ليس من نوع بلاغة الناس لأن فيه الأقسام التي في أوائل السور والحروف المقطعة التي لا يعرف أحد معناها، وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة، وقد روينا عن أنيس أخي أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما أنه سمع القرآن فقال: لقد وضعت هذا الكلام على ألسنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلك، أو كلاماً هذا معناه، فصح بهذا ما قلناه من أن القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين وأنه على رتبة قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله"[89].

وقال: "فإن قالوا: فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بأنه في أعلى درج البلاغة أم لا؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق: إن كنتم تريدون أن الله قد بلغ به ما أراد فنعم هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين فلا لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه ... فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلا وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز"[90].

وهنا نقول: نعم إن القرآن ليس من كلام المخلوقين بل من كلام الخالق عز وجل، ولكنه جاء بلسان عربي مبين، وقد أفهم العرب لأنه أتى بلغتهم، ولو لم يكن كذلك لما أثّر ذلك التأثير في قلوب سامعيه، أرأيت لو أن القرآن بلغة سريانية فهل يفهم العرب مراده؟ وهل يؤثر فيهم؟

لقد شهد التنـــزيل أنه بلسان عربي، وجاء بعد معظم الآيات التي نصت على أن القرآن عربي ما يؤكد أن الغاية من ذلك إفهام المخاطبين من العرب فجاء بعدها ﴿ مبين ﴾ و ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ و ﴿ لقوم يعلمون ﴾ و ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ و ﴿ لعلهم يتقون ﴾، قال تعالى: ﴿ إنّا أنزلناه قرآناً عــربياً لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف: 2]، وقال: ﴿ كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾، [فصلت: 3]، وقال: ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ [الزمر: 28].

وقد نقل السيوطي اتفاق العلماء على أن القرآن في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد منه تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه[91].

وبالجملة فإننا نستطيع القول: إن كلام ابن حزم في الإعجاز مداره على الصَّرْفة ويضاف إليها الإخبار بالغيوب، أما إعجاز النظم والبلاغة عنده فهو إعجاز غير ملموس لأنه يقول: هو معجز وبليغ لأنه من عند الله فقط، ويرى أنه ليس من نوع بلاغة الناس.

10- البيهقي (من أهل السنّة، ت: 458 هـ)

هو الحافظ العلامة الثبت الفقيه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى صاحب السنن وله الكثير من المصنفات توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة[92].

مفهوم الصَّرْفة عند البيهقي

قال البيهقي في معرض سرده لوجوه الإعجاز المختلفة التي اعتبرها من دلائل نبوة وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال: "... ومنهم من قال إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه"[93].

ثم شرع البيهقي في شرح الأقوال التي ذكرها إلى أن قال في الصَّرْفة: "وأما الصَّرْفة والتعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله فإنما يعلم ذلك بعدم المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة إليه وذلك ما لا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليه مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته، ولما خرجوا في أمر إلى نصب القتال والتغرير بالأنفس وإتلاف الأموال ومفارقة الأهل والأوطان، ولكان ذلك أيسر عليهم من مباشرة الخطوب ومقاساة هذه الشدائد والكروب، فلما لم يفعلوه دل على عجزهم عن ذلك، وسبيل هذا رجل عاقل اشتد به العطش وبحضرته ماء فجعل يتلوى من شدة الظمأ ولا يشرب الماء فلا يشك شاك أنه عاجز عن شربه أو ممنوع لسبب يعوقه عنه، وأنه لم يتركه اختياراً مع توفر الدواعي له وشدة الحاجة منه إليه، وهذا بيّن والحمد لله"[94]. ومع هذا فالبيهقي ينص على إعجاز القرآن الكريم في نظمه[95].

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الذين تكلموا عن الصَّرْفة لم يذكروا البيهقي ضمن القائلين بها، والملاحظة الأخرى أن البيهقي ربما تأثر بالصَّرْفة من شيخه الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، فقد ذكر الذهبي[96] أنه من الذين حدثوا عن الأستاذ أبي إسحاق.

12- ابن سنان الخفاجي (كان يرى رأي الشيعة الإمامية، ت: 466 هـ)

هو الأمير الأديب الشاعر الأندلسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، أديب وشاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره، وسمع الحديث وبرع فيه، كان يرى رأي الشيعة الإمامية، ذكر الكتبي أن له كتاب اسمه (الصَّرْفة)، وأشهر كتبه سر الفصاحة، توفي سنة ست وستين وأربعمائة[97].

مفهوم الصَّرْفة عند الخفاجي

نص الخفاجي على الصَّرْفة صراحة فقال: "إن أسلوب القرآن لم يبعد كثيراً عن فصيح الكلام المختار من كلام العرب، ولكن معجزة القرآن للعرب إنما جاءت من جهة أنهم سلبوا العلوم التي كانوا يستطيعون عن طريقها معارضته، وصرفوا عن الإتيان بسورة من مثله"[98].

قال صاحب بغية الطلب في تاريخ حلب: "قرأت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي في كتاب له تتبع الكلام فيه على الصَّرْفة ونصر فيه مذهب المعتزلة في أن القرآن ليس بمعجز في نفسه لكن العرب صرفوا عن معارضته"[(99)].

ونلاحظ أن قول الخفاجي قريب من قول الشريف المرتضى ولعله قد تأثر به خاصة أن المرتضى توفي قبله بثلاثة عقود فقط.

12- الأصفهاني (من أهل السنة، ت: 502)

أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني[(100)] من أذكياء المتكلمين، كان من الحكماء العلماء من أهل أصفهان سكن بغداد واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، قال محقق كتاب المفردات[(101)]: "وصف الراغب بأنه أحد أئمة أهل السنّة"، توفي سنة اثنتين وخمسمائة.

مفهوم الصَّرْفة عند الأصفهاني

قال الأصفهاني بالصَّرْفة صراحة في مقدمة تفسيره جامع التفاسير في فصل عقده لإعجاز القرآن حيث جاء فيه: "إن الإعجاز في القرآن على وجهين: أحدهما متعلق بفصاحته، والثاني بصرف الناس عن معارضته"[(102)].

ثم قال: "... فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن، وعجّزهم عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخفَ على أولي الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء مخيرة في الظاهر عن معارضته، مصروفة في الباطن عنها"[(103)].

ومن هنا فالأصفهاني يضم الصَّرْفة إلى إعجاز القرآن في نظمه المخصوص الذي تفرد به عن سائر نظوم العرب.

ويعلق د. حفني شرف على قول الأصفهاني في إعجاز القرآن مبيناً أنه قد تأثر إلى حد كبير بعبد القاهر الجرجاني في مسألة النظم غير أنه يخالفه مخالفة هامة في أنه جمع بين الصَّرْفة التي يرفضها عبد القاهر ويسفه آراء أصحابها والنظم الذي ارتضاه وركن إليه[(104)].

غير أن شرف الذي اقتبس نص الأصفهاني من الإتقان التبس عليه شخص الأصفهاني فترجم لشخص آخر هو شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الشافعي الأصفهاني المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وهذا خطأ، والصحيح أن النصوص المنسوبة في

الإتقان[105] للأصفهاني هي لأبي القاسم الراغب الأصفهاني ذكرها في مقدمة تفسيره المرسوم بـــ "جامع التفاسير" وقد حققها د. أحمد حسن فرحات.

وأيضاً وقع عبد الكريم الخطيب[106] في خطأ مشابه عند ترجمته للأصفهاني فذكر أنه القاسم بن محمد، وهو كما سبق أبو القاسم الحسين بن محمد، وذكر وفاته (396هـــ) والصحيح كما سبق.

13- ابن القيم (من أهل السنّة ت: 751)

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية الفقيه الأصولي المفسر النحوي، لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه، وتفقه في المذهب الحنبلي وأفتى، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة[107].

مفهوم الصَّرْفة عند ابن القيم

قال ابن القيم بعد أن أورد وجوهاً متعددة في إعجاز القرآن: "وقال قوم: إعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الإتيان بمثله، ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم"[108]، ثم ذكر الاعتراضات على هذا القول، وخلص من ذلك ليقول: "وكل واحد من هذه الأقوال يحتمل أن يكون معجزة إذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الإتيان بمثل ما تحدى به ... والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه، وبعضه وكله معجزة، إما لسلب قدرتهم عن الإتيان بمثله، وإما لصرفهم عنه"[109].

14- د. صلاح الدين بسيوني رسلان

فهو من الذين قالوا بالصَّرْفة من المحدثين حيث نص على أن عجز العرب عن الإتيان بمثله لأن ذلك خارج عن قدرتهم وأن صارفاً إلهياً قد صرفهم عن أن يأتوا بمثل القرآن فصاحة وبلاغة، وقال: "... والصَّرْفة ليست إقلالاً من شأن القرآن بل هي لطف ورحمة من الله بالعباد أن يطمع في القرآن طامع ينطق في نفسه القدرة على الإتيان بمثله أو معارضته فيتأثر به عامة الناس وتتبلبل الأفكار"[110]. وهو يضيف الصَّرْفة إلى إعجاز القرآن فصاحة وبلاغة وهذا عين ما يراه الجاحظ.

المبحث الثالث : نقض القول بالصَّرْفة

1-يدل على فساد الصرفة قوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء: 88].

فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد[111] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سبلوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم، لمنـــزلته منـــزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره[112].

2-ومما يدل على بطلانها أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصَّرْفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنّما يكون المنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيرة في نفسه[113]. وهذا يعارض ما انعقد عليه الإجماع في إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله[114]، ألا ترى أنه لو قال: أنا أقوم وأنتم لا تقدرون عليه وكان كذلك لم يكن قيامه معجزاً بل عجزهم عن القيام[115].

3-وأيضاً يلزم من القول بالصَّرْفة فساد آخر، وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى، ولا معجزة له باقية سوى القرآن، وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة[116].

4-لو كان العرب قد صرفوا عن الإتيان بمثل القرآن لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لأنهم لم يتحدّوا إليه، ولم يلزمهم حجته.

فلما لم يوجد في كلام من قبلة مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصَّرْفة ظاهر البطلان[117]. إذ أنهم لو صرفوا عن الإتيان بمثله لكان بمقدورهم معارضته بما اعتيد منهم من قبل القرآن الصادر عنهم قبل التحدي به، بل قبل نزوله، فإنهم لم يتحدوا بإنشاء مثله، بل بالإتيان به، فلما لم يعارضوا القرآن بكلام مثله صادر عنهم قبل الصَّرْفة علم بطلان ذلك[118].

5-لو أن العرب قد سلبوا القدرة – كما يزعم الشريف الرضي – لعلم العرب ذلك من أنفسهم ولتناطقوا به عادة ولتواتر عنهم ذلك التناطق لجريان العادة بالتحدث بخوارق العادات لكنه لم يتواتر قطعاً"[119]، ولكانوا قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال بيننا وبينه ... فبقى أن لم يُرْو ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى لا ما قل ولا ما كثر دليل أنه قول فاسد ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل[120].

6-ويبطل الصَّرْفة أيضاً الأخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن، وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر [121].

ولكان ينبغي أن لا يتعاظمهم ولا يكون منهم ما يدل على إكبار أمره وتعجبهم منه وعلى أنه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم[122] وذاك أنه محال أن يعظموه وأن يبهتوا عند سماعه ويستكينوا له وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه[123]، ولكان التعجب للذي دخل من العجز عليهم ولما رأوه من تغيّر حالهم ومن أن حيل بينهم وبين شئ قد كان عليهم سهلاً وان سد دونه باب كان لهم مفتوحاً"[124].

7-ثمة سؤال يقرع الآذان: لو كان إعجاز القرآن بالصَّرْفة كما يزعمون أفلا يرد حديثٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم يكشف عن حقيقتها ويبين مضمونها ودلالتها!!؟

الخـــــــاتمة

وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وهي:

1- الصَّرْفة لغة بمعنى رد الشيء من حالة إلى حالة، وتأتي بمعنى: الميل، والتقلب، والحيلة، والتوبة، وهي جميعها تحمل معنى التحول، وهذا يتناسب مع المعنى الاصطلاحي للصَّرْفة في أنهم تحولوا من القدرة إلى عدمها في موضوع الإتيان بمثل القرآن.

2- الصَّرْفة اصطلاحاً لها مفاهيم عدة حسب قول من ذهب إليها منها: سلب دواعي العرب عن المعارضة، ومنها أن الصَّرْفة بمعنى الانصراف من ذات العرب، ومنها أن الله سلبهم العلوم التي لا بد منها لتتم المعارضة ... ومن الحيف أن نلصقها بكل من قال بها دون أن نبيّن لكل واحد مقصوده ومراده من قوله.

3- الواجب على المسلمين كتابهم ومفكريهم استخدام المصطلحات الدقيقة المعبرة في أبحاث القرآن، وترك تلك المصطلحات التي لها أكثر من مدلول لأن ذلك يؤدي إلى الخلط والتشويش على المعنى المراد.

4- أول من نادى بالصَّرْفة إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي الذي تأثر بفكر البراهمة في مسالة إبطال النبوات.

5-يمكن القول: إن الصَّرْفة نشأت في بيئة المعتزلة وتناقلها بعد ذلك أناس من أهل السنة والشيعة.

6-ذهب بعضهم أمثال الزرقاني رحمه الله وغيره إلى إنكار نسبة الصَّرْفة إلى العلماء معتبراً إياها فكرة مدسوسة من أعداء الإسلام، وهذا أمر خطير يجعلنا نفقد مصداقية ما نقل إلينا عن العلماء بعد أن توافرت المراجع على نسبتها إليهم، واعترف الكثير بها في مؤلفاتهم التي سطروها بأيمانهم.

7-إن بواعث القول بالصَّرْفة يختلف باختلاف القائل بها، فإمّا متشكك أو ملحد ضال أراد من قوله الطعن في إعجاز القرآن في نظمه، أو شخص التبست عليه الأمور، واختلط علية مفهوم المصطلح وغره بريقه فأراد أن يثبت بها صدق النبي علية السلام من خلال تدخل قدرة الله تعالى في صرف همم العرب عن الإتيان بمثله تأييدا لرسوله الكريم، وهذا ما ذكره الماوردي والبيهقي من أهل السنة.

8-إن الصَّرْفة عند النظام تختلف عن الصَّرْفة التي قال بها تلميذه الجاحظ، فالنظام ينكر إعجاز النظم، وتلميذه يقر ببلاغة القرآن المعجزة ويرى أن الله صرف همم العرب حتى لا يكون في ذلك مستمسكاً لضعفاء العقول والنفوس.

9-الصَّرْفة عند الرماني تقابل مفهوم الصَّرْفة عند الجاحظ لا صرفة النظام.

10- الصَّرْفة عند القاضي عبد الجبار المعتزلي هي انصراف ذاتي من العرب أنفسهم بعد أن عرفوا عجزهم عن معارضة القرآن.

11- إن العلوم التي سلبها الله من العرب في قول الشريف المرتضى هي تلك المعلومات المعينة على الإتيان بنظم يماثل نظم القرآن، وليس ما ذكره الرافعي من أنها المعاني التي حملتها ألفاظ القرآن.

12- الأصفهاني الذي ينسب إليه القول بالصَّرْفة هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، الراغب الأصفهاني، المتوفى سنة(502هـ)، وليس (أبو الثناء محمد بن عبد الرحمن الأصفهاني)، المتوفى سنة (749هـ) كما ذهب بعضهم، ولا المتوفى سنة (396هـ) كما ذهب إليه آخرون.

13- إن رأي ابن حزم الأندلسي في الإعجاز مضطرب، فهو ينص على الصَّرْفة وأخبار الغيب ويرى أن القرآن ليس من نوع كلام المخلوقين فهو بليغ لأنه كلام الله.

14- إن القول بالصَّرْفة قول متهافت تضافرت الأدلة على دحضه وبيان فساده وبطلانه، ولو أنه بقي في دائرة الزنادقة لكفى ردّه بعزوه إليهم، ولكن استدعى التأكد على تهافته تلقي العديد من علماء أهل السنة له بالقبول.

وختاماً أقول: لقد بذلت كل ما بوسعي لإظهار هذا البحث رغم شدة الكرب وصعوبة الوصول إلى العديد من المكتبات، وقد انتظرت بعض المراجع سنة كاملة حتى تمكنت من الوقوف عليها غير أن الكمال عزيز، وإنني أسال الله عز وجل أن ينفعني بما كتبت وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

1. **الأتابكي**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، **النجوم الزاهـرة فـي ملـوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف – مصر.
2. **ابن الأثير**، عز الدين بن الجزري، **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر – بيروت.
3. **الإسفراييني**، طاهر بن محمد، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجيـة عـن الفـرق الهالكة**، عالم الكتب – بيروت، (ط1983/1م)، تحقيق كمال يوسف الحوت.
4. **الأشعري**، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، **مقالات الإسـلاميين واخـتلاف المصـلين**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط3).
5. **الأصفهاني**، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة – بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني.
6. **الأصفهاني**، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **مقدمة جـامع التفاسـير**، مطبوعة بتحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الدعوة – الكويت.
7. **الألوسي**، شهاب الدين محمود أفندي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظـيم والسـبع المثاني**، دار الفكر (لا يوجد رقم الطبعة ولا سنة الطبع).
8. **الإيجي**، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف**، دار الجليل – بيـروت، (ط1997/1)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.
9. **الباقلاني**، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق عماد أحمد حيدر، دار الفكر – بيروت، (ط1406/1 هـ).
10. **البغدادي**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقـة الناجيـة**، دار الآفاق – بيروت، (ط1977/2).
11. **البغدادي**، أحمد بن علي أبو بكر المعروف بالخطيب البغدادي، **تاريخ بغـداد**، دار الكتـب

العلمية – بيروت.

12. **البيهقي**، أحمد بن الحسين، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، دار الأفاق الجديدة – بيروت، (ط1401/1 هـ).

13. **الجاحظ**، أبو عثمان، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، دار صعب – بيروت، (ط1968/1م)، تحقيق فوزي عطوي.

14. **الجاحظ**، أبو عثمان، عمرو بن بحر، **الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجليل – بيروت، (ط سنة 1412هـ).

15. **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، دار الكتب العلمية – بيروت – شرح محمد باسل عيون السود، (ط1420/1 هـ).

16. **ابن أبي جرادة**، عمر بن أحمد، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، دار الفكر – بيروت، (ط1988/1م)، تحقيق د. سهيل زكار.

17. **الجرجاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **الرسالة الشافية**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف – مصر (ط1387/2هـ)، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول.

18. **الجرجاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1995/1م)، تحقيق د. محمد التنجي، وطبعة مكتبة سعد الدين (ط1407/2هـ)، تحقيق محمد رضوان الداية ود. فايز الداية.

19. **الجرجاني**، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1405/1هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري.

20. **ابن الجوزي**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1412/1هـ)، تحقيق محمد عطا عبد القادر، ومصطفى عبد القادر عطا.

21. **حاجي خليفة**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية – بيروت، (1413 هـ – 1992م).

22. **ابن حجر**، أحمد بن علي العسقلاني، **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، (ط1406/9هـ)، تحقيق دائرة المعارف النظامية – الهند.

23. **ابن حزم**، أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة

الخانجي – القاهرة، (لا يوجد رقم الطبعة ولا سنة الطبع).

24. **الحسن**، د. محمد علي، **المنار في علوم القرآن**، دار الأرقم – عمان، (ط1983/1).

25. **الحمصي**، نعيم، **فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر**، مؤسسة الرسالة، (ط1420/2هـ).

26. **الخالدي**، د. صلاح عبد الفتاح، **البيان في إعجاز القرآن**، دار عمار للنشر والتوزيع – الأردن، (ط1413/3هـ).

27. **الخطابي**، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف – مصر.

28. **الخطيب**، عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السابقين**، دار المعرفة – بيروت، (ط1395/2هـ).

29. **ابن خلكان**، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، دار الثقافة، سنة 1968م، تحقيق إحسان عباس.

30. **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط1413/9هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي.

31. **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1995/1م)، تحقيق علي معوض، وعادل أحمد.

32. **الرافعي**، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1394/2هـ).

33. **رسلان**، د. صلاح الدين بسيوني، **القرآن الكريم رؤية منهجية جديدة لمباحث علوم القرآن**، مكتبة نهضة الشرق – القاهرة.

34. **الرماني**، علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن**، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول، دار المعارف – مصر، (ط1387/2هـ).

35. **الزرقاني**، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1409/1هـ).

36. **الزركشي**، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، دار الفكر – بيروت، (ط سنة 1408هـ)، تعليق مصطفى عبد القادر عطا.

37. **أبو زهرة**، محمد، **المعجزة الكبرى – القرآن**، دار الفكر العربي، (لا توجد طبعة ولا سنة طبع).

38. **ابن سنان**، عبد الله بن محمد الخفاجي، **سر الفصاحة**، مكتبة الخانجي – القاهرة، (ط1350/1هـ).

39. **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، دار التراث – القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

40. **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1404/1هـ).

41. **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1998/1م). تحقيق: فؤاد علي منصور.

42. **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الفكر العربي، تحقيق علي محمد البجاوي.

43. **شرف**، حفني محمد، **إعجاز القرآن البياني**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر، (ط سنة 1390هـ).

44. **الشهرستاني**، محمد عبد الكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، دار المعرفة – بيروت، (ط سنة 1404هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني.

45. **الطرابلسي**، إبراهيم بن محمد بن سبط العجمي، **الكشف الحثيث**، عالم الكتب – بيروت، (ط1407/1هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي.

46. **عامر**، د. فتحي أحمد، **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ**، دراسة تاريخية فنية مقارنة، منشأة المعارف – الإسكندرية.

47. **عبد الجبار**، القاضي أبو الحسن بن أحمد المعتزلي، **شرح الأصول الخمسة**، مكتبة وهبة – القاهرة، (ط1996/3م)، تحقيق د. عبد الكريم عثمان.

48. **عبد الجبار**، القاضي أبو الحسن بن أحمد المعتزلي، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، مطبعة دار الكتب – مصر، (ط1/ 1960م).

49. **العلوي**، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، دار الكتب العلمية – لبنان، (لا يوجد رقم الطبعة ولا سنة الطبع).

50. **عمار**، أحمد سيد، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، دار الفكر،

(ط1418/1هـ).

51. **ابن قتيبة**، عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، المكتبة التجارية – مصر، (ط1963/4م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

52. **ابن قتيبة**، عبد الله بن مسلم الدينوري، **تأويل مختلف الحديث**، دار الجليل – بيروت، (ط 1393هـ)، تحقيق: محمد زهدي النجار.

53. **القلقشندي**، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الفكر – دمشق، (ط1987/1م)، تحقيق د. يوسف علي طويل.

54. **القنوجي**، صديق بن حسن، **أبجد العلوم**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط سنة 1978م)، تحقيق عبد الجبار زكار.

55. **ابن القيم**، محمد بن أبي بكر الزرعي، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1408/2هـ).

56. **الكتبي**، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، دار صادر – بيروت، تحقيق د. إحسان عباس.

57. **الماوردي**، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب، **أعلام النبوة**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط1987/1م)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي.

58. **ابن مفلح**، برهان الدين إبراهيم بن محمد، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، (ط1990/1م)، تحقيق محمد بن سليمان العثيمين.

59. **ابن منظور**، محمد بن مكرم الأفريقي، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، (ط1410/1هـ).

المراجع والمصادر

(1) انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقرآن في إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، تحقيق علي محمد البجاوي (3/1).

(2) المرجع السابق (3/1).

[3] الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:502 هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة – بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني، مادة: (صَرف) (ص: 279)، وسيشار إليه فيما بعد هكذا (الأصفهاني/ المفردات).

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب،دار صادر - بيروت (ط1/ 1410 هـ) مادة (صرف)، (9 / 189)، وسيشار إليه فيما بعد هكذا (ابن منظور / لسان العرب).

(5) الأصفهاني، المفردات، مادة صرف، (ص: 279-280).

(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف) (9/190-191).

(7) انظر: القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا دار الفكر - دمشق (ط1/ 1987م)، تحقيق د. يوسف علي طويل (2 / 177 و 379)، وسيشار إليه لاحقا هكذا (القلقشندي / صبح الأعشى)، وابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف) (9 / 189).

(8) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف) (189/9).

(9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت: 376)، أدب الكاتب، المكتبة التجارية - مصر (ط4 / 1963)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ص: 75).

(10) القلقشندي، صبح الأعشى (2 / 177).

(11) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911)، المزهر في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1998/1م)، تحقيق فؤاد علي منصور (446/2).

(12) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرف) (189/9).

(13) العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، دار الكتب العلمية - لبنان، لا توجد الطبعة ولا سنة الطبع (3 / 391)، بتصرف، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (العلوي، الطراز).

(14) انظر: أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى (القرآن) دار الفكر العربي (لا توجد طبعة ولا سنة طبع)، (ص: 79-80).

(15) المرجع السابق.

(16) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت: 429)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق - بيروت (ط1977/2) (ص: 113)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا: (البغدادي، الفرق بين الفرق)، والإسفراييني، طاهر بن محمد (ت: 471)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، عالم الكتب، بيروت (ط1983/1م)، تحقيق كمال يوسف الحوت (ص: 72) وسيشار إليه لاحقاً هكذا: (الإسفراييني، التبصير في الدين)، ولا يخفى هنا أن الصَّرْفة لا تدل على إنكار النبوات بل على عكس ذلك، فقد استشهد بها بعضهم لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نسلم للمصنفين بهذا القول فقط من باب أن المشككين إذا جاءوا بشبهة فهم يفتشون عن فرية معقولة، فإن لم تقنع الناس فلا أقل من أن تدخل الشك إلى قلوبهم.

(17) الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت: 756)، المواقف، دار الجليل - بيروت (ط1 / 1997) تحقيق د. عبد الرحمن عميرة (3 / 661) وسيشار إليه لاحقا هكذا (الإيجي، المواقف).

(18) سيتم الوقوف على ترجمة النظام وعيسى بن صبيح عند عرض أقوال القائلين بالصَّرْفة في المبحث الثاني إن شاء الله.

[19] الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار للنشر والتوزيـــع – الأردن، (ط3 / 1413 هـ – 1992م) (ص: 81).

[20] وممن قال بذلك الزرقاني و د. محمد حنيف فقيهي في كتابه (نظرية إعجاز القرآن عند عبـد القـاهر) حسب ما عزاه إليه أحمد سيد عمار في نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، (ط1 / 1418هـ) (ص: 45-46)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (عمار، نظرية الإعجاز القرآنـــي)، حيـث اسـتبعد واستنكر أن تنسب الصَّرْفة إلى النظام أو إلى المعتزلة، وينقل عنه عمار أنه عاد وأثبتهـا إلـيهم واقعـاً فـي التناقض.

[21] وهم (الاسفرائيني، والنظام، والمرتضى) وسيأتي بسط الكلام عنهم عند الكلام عن القائلين بالصَّرْفة.

[22] الـزرقاني، محمـد عبد العظيـم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية – بيـروت (ط1 / 1409هـ) (451/2)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الزرقاني، مناهل العرفان).

[23] عمار، نظرية الإعجاز القرآني (ص: 45-46).

[24] الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، دار المعرفة – بيروت (ط2 / 1395هـ) (ص: 176)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين).

[25] البغدادي، الفرق بين الفرق (ص: 114).

[26] المرجع السابق (ص: 114).

[27] العلوي، الطراز (3 / 392).

[28] البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: 458)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، دار الآفاق الجديدة – بيروت (ط1 / 1401هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب (ص: 259)، وسأشير إليه لاحقاً هكذا (البيهقي، الاعتقاد)، وسيأتي الكلام عن رأي البيهقي في الصَّرْفة في المبحث الثالث إن شاء الله.

[29] ملاحظة: هناك العديد من العلماء الذين نسب إليهم القول بالصَّرْفة وهم برءاء من ذلك سواء من المعتزلة: أمثال هشام الفوطي، وعباد بن سيمان، أو من أهل السنة أمثال: الرازي، والقرطبي، وابن كثير، والسـيوطي، وغيرهم، وقد أفردت الكلام عن ذلك في بحث مستقل يناقش ما نسب إلى هؤلاء العلماء.

[30] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1412/1 هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (11 / 66) رقم (1259) وقد ذكره ابن الجوزي فيمن مات سنة (221)، وانظر: الذهبي، محمد بن أحمـد بـن عثمـان (ت: 748)، سيـر أعـلام النبلاء، مـؤسسة الـرسالة – بيروت (ط 9 / 1413) تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي (10 / 542) وسيشار إليه عند وروده فيما بعد هكذا (الـذهبي، سـير أعلام النبلاء)، وذكر ابن حجر أن وفاته كانت في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين، لسان الميزان (1 / 67) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852) لسـان الميـزان، مؤسسـة الأعلمـي

للمطبوعات – بيروت، (ط3/1406هـ) تحقيق دائرة المعارف النظامية – الهند (1 / 67)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (ابن حجر، لسان الميزان).

[31] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276)، تأويل مختلف الحديث، دار الجيل – بيروت، سنة (1393هـ)، تحقيق محمد زهدي النجار (ص: 18).

[32] البغدادي، الفرق بين الفرق (ص: 113).

[33] انظر: الشهرستاني، محمد عبد الكريم بن أبي بكر (ت: 479)، الملل والنحل، دار المعرفة – بيروت سنة (1404هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني (1 / 53) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الشهرستاني، الملل والنحل).

[34] الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 324)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار إحياء التراث – بيروت، ط3، (ص: 225)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الأشعري، مقالات الإسلاميين).

[35] البغدادي، الفرق بين الفرق (ص: 128).

[36] التبصير في الدين (ص: 72).

[37] انظر ترجمته في : البغدادي، الفرق بين الفرق (ص: 151)، والشهرستاني، الملل والنحل (1 /68) والذهبي، سير أعلام النبلاء (10 / 548) رقم (178)، وابن حجر في لسان الميزان (4 / 398) رقم (1214)، والجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت:816هـ)، التعريفات، دار الكتاب العربي – بيروت (ط1 / 1405هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري (ص: 270)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الجرجاني، التعريفات) وفي ضبط لقبه اختلاف كبير، ففي سير أعلام النبلاء (المرداز)، وفي لسان الميزان (مدرار)، وفي التعريفات (المزدار)، وكذا عند الإيجي، في المواقف (3 / 654) والمثبت من لقبه كما في (الفرق بين الفرق) وكتاب (الملل والنحل).

[38] الشهرستاني، الملل والنحل، (1 / 68).

[39] الذهبي، سير أعلام النبلاء، (10 / 548) رقم (178).

[40] البغدادي، الفرق بين الفرق، (ص: 151).

[41] الشهرستاني، الملل والنحل، (1 / 68).

[42] التعريفات، (ص: 270).

[43] المواقف، (3 / 654).

[44] ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة – بيروت سنة (1968م)، تحقيق د. إحسان عباس (3 / 470) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (ابن خلكان، وفيات الأعيان).

[45] الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون دار الجليل – بيروت (ط سنة 1412هـ –1992م) (6 / 268) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الجاحظ، الحيوان).

[46] المرجع السابق (4 / 89).

[47] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار صعب – بيروت (ط1 / 1968م) تحقيق فوزي عطوي (1/ 527).

[48] الجاحظ، الحيوان (4 / 90).

[49] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911)، الإتقان في علوم القرآن، دار التراث – القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (4 / 5) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (السيوطي، الإتقان)، ولعل هذا الكلام الذي نقله السيوطي عن الجاحظ موجود في كتاب (نظم القرآن) للجاحظ، ذلك الكتاب الذي فقد مع غيره مـن الكتـب القيمة التي خسرتها مكتباتنا ولم يبق منه إلا إشارات ومقتطفات حوتها كتب الجاحظ المختلفة وأخرى من غيرها اقتبست منها.

[50] الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ (في حجج النبوة)، دار الكتب العلمية، بيروت، شـرح محمـد باسل عيون السود (ط1/1420 هـ) (176/3). وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الجاحظ، الرسائل).

[51] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت: 471)، دلائـل الإعجـاز، دار الكتـاب العـربي، بيـروت، (ط1/1995م)، تحقيق د. محمد التنجي، (ص: 291)، وسيشار إليه لاحقـاً هكـذا (الجرجاني، دلائل الإعجاز).

[52] الجاحظ، الرسائل (في حجج النبوة)، (191/3).

[53] الحمصي، نعيم، فكـرة إعجـاز القـرآن منـذ البعثة حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسـالة (ط2 / 1400هـ–1980م)، (ص: 56)، وسأشير إليه لاحقاً هكذا: (الحمصي، فكرة إعجاز القرآن).

[54] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العـرب، دار الكتـاب العربي، بيروت، (ط2 / 1394هـ)، 2 / 147)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الرافعي، تاريخ آداب العرب).

[55] الأمير الوزير أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد التركي شاعر مترسل بليغ استوزره المتوكل وفوض إليه أمر الشام قتل مع المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين، الذهبي سير أعلام النبلاء (12 / 83).

[56] الجاحظ، الرسائل (في خلق القرآن) (3 / 219)، وذكر د. فتحي أحمد عامر أن هذا النص من كتـاب نظم القرآن الذي فقد، ولعل اسم هذه الرسالة في الطبعات الأخرى لرسائل الجاحظ هو (الاحتجاج لنظم القرآن) والله أعلم، علما أنها تتكلم عن خلق القرآن، انظر: عامر، د. فتحي أحمد، بلاغة القرآن بين الفن والتـاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة منشأة المعارف – الإسكندرية (ص: 30).

[57] الجاحظ، الحيوان (4 / 89).

[58] المرجع السابق (6 / 269).

[59] الذهبي، سير أعلام النبلاء (16 / 533).

[60] الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيـق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول، دار المعارف – مصر (ط2 / 1387هـ) (ص: 75) وسيشـار إليـه لاحقاً هكذا (الرماني، النكت في إعجاز القرآن)، وقد ذكر قول الرماني هذا السيوطي في الإتقان (4 / 15).

[61] الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص: 110).

[62] الحمصي، فكرة إعجاز القرآن (ص: 63).

[63] الذهبي، سير أعلام النبلاء (17 / 469)، وابن حجر، لسان الميزان (3 / 386) رقم (1539).

[64] عبد الجبار، القاضي، أبو الحسن الأسد أبادي (ت: 415هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، مطبعة دار الكتب – مصر (ط1 / 1960م) (16 / 318)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (عبد الجبار، المغني).

[65] حيث قال في كتابه شرح الأصول الخمسة: "فإن قيل: ما وجه الإعجاز في القرآن؟ قلنا: هو أنه تحدى بمعارضته العرب مع أنهم كانوا هم الغاية في الفصاحة، والمشار إليهم في الطلاقة والذلاقة، وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وعدلوا عنه، لا لوجه سوى عجزهم عن الإتيان بمثله". انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، مكتبة وهبة – القاهرة (ط3 / 1996م) تحقيق د. عبد الكريم عثمان، (ص: 586).

[66] عبد الجبار، المغني (16 / 323).

[67] المرجع السابق (16 / 324).

[68] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (1 / 28)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (17 / 353)، والقنوجي، صديق بن حسن (ت: 1307هـ) أبجد العلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة سنة (1978م) تحقيق عبد الجبار زكار (163/2) (3 / 128) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (القنوجي، أبجد العلوم).

[69] الألوسي، شهاب الدين محمود أفندي (ت: 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر (م1،ج1 / 28) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الألوسي / روح المعاني).

[70] الزرقاني، مناهل العرفان (2 / 445)

[71] الحسن، د. محمد علي، المنار في علوم القرآن، دار الأرقم – عمان (ط1 / 1983م) (ص: 132).

[72] انظر: ترجمته في، الذهبي، سير أعلام النبلاء (17 / 588) وقد ذكر الذهبي أن كنيته (أبو طالب) وانظر: الطرابلسي إبراهيم ابن محمد بن سبط بن العجمي (ت: 841) الكشف الحثيث، عالم الكتب – بيروت (ط1 / 1407هـ)، تحقيق صبحي السامرائي (ص: 187)، والقنوجي، أبجد العلوم (3 / 66) وحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت: 1067 هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية – بيروت (1413 هـ) (1 / 794) و (2 / 1991)، وفيه أن اسمه علي بن طاهر، وسيشار لهذا المصدر لاحقاً هكذا (حاجي خليفة، كشف الظنون).

[73] الإيجي، المواقف (3 / 378).

[74] الألوسي، روح المعاني (1 / 28).

[75] الإعجاز في دراسات السابقين (ص: 365).

[76] تاريخ آداب العرب (2 / 144).

[77] المرجع السابق (2 / 144).

[78] فكرة إعجاز القرآن (ص: 70).

[79] البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب (ت: 463) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية – بيروت (102/2) رقم (6539).

[80] الذهبي، سير أعلام النبلاء (18 / 64).

[81] الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار الكتب العلمية – بيـــروت (ط1 / 1995) تحقيق علي معوض وعادل أحمد (5 / 188) رقم (5942).

(5) ابن حجر، لسان الميزان (4 / 260) رقم (715).

[82] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 429)، أعلام النبوة، دار الكتاب العربي – بيـــروت (ط1987/1)، تحقيـــق محمـــد المعتصـــم بالله البغدادي (ص: 121) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الماوردي، أعلام النبوة).

[83] المرجع السابق (ص: 123).

[84] انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (18 / 184 – 186)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبـــي بكر، (ت:911) طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية – بيروت (ط1 / 1403هـ) (ص: 436).

[85] ابن حزم، أبو محمد علي الأندلسي الظاهري (ت: 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة، لا يوجد رقم للطبعة ولا سنة الطبع (3 / 10).

[86] المرجع السابق (1 / 87).

[87] المرجع السابق (3 / 11).

[88] المرجع السابق (3 / 11).

[89] المرجع السابق (1 / 87).

[90] المرجع السابق (3 / 12).

[91] السيوطي، الإتقان (4 / 18).

[92] الذهبي، سير أعلام النبلاء (18 / 163).

[93] البيهقي، الاعتقاد (ص: 259).

[94] المرجع السابق (ص: 266).

[95] المرجع السابق (ص: 260).

[96] الذهبي، سير أعلام النبلاء (17 / 353)

[97] أنظر: ابـــن الأثيـــر، عـــز الدين بن الجزري، اللبـــاب فـــي تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت (1 / 454)، والكتبي، محمد شاكر (ت: 764 هـ)، فوات الوفيات والذيل عليها، دار صادر – بيروت، تحقيق د. إحسان عباس. والأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى (ت: 874)، النجوم الزاهرة فـــي ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف – مصر (96/5).

[98] ابن سنان، الخفاجي عبد الله بن محمد (ت: 466هـــ)، ســـر الفصـــاحة، مكتبـــة الخـــانجي – القـــاهرة (ط1350/1هـ – 1934م) (ص: 92).

[99] ابن أبي جرادة، كمال الدين عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر – بيروت (ط1988/1م) تحقيق د. سهيل زكار (2 / 880).

[100] انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (18/ 120)، وحاجي خليفة كشف الظنون (1 / 36، 462).

[101] محمد سيد كيلاني في مقدمة تحقيق المفردات للأصفهاني (ص: 3)

[102] الأصفهاني، حسين بن محمد المعروف بالراغب، مقدمة جامع التفاسير مطبوعة بتحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الدعوة – الكويت (ص: 104).

[103] المرجع السابق (ص: 109).

[104] شرف، حفني محمد، إعجاز القرآن البياني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر (ط سنة 1390هـ)، (ص: 159).

[105] السيوطي، الإتقان (4 / 10).

[106] الإعجاز في دراسات السابقين (ص: 355).

[107] ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت: 884)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض (ط1 / 1990م)، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (2 / 385).

[108] ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي (ت: 751هـ)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية – بيروت (ط2 / 1408هـ) (ص: 386).

[109] المرجع السابق (ص: 387).

[110] رسلان، القرآن الكريم رؤية منهجية جديدة لمباحث علوم القرآن مكتبة نهضة الشرق – جامعة القاهرة (ص: 234).

[111] الخطابي، أبو سليمان: حمد بن محمد بن إبراهيم (ت:388هـ)، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف – مصر (ط2 1387هـ)، تحقيق د. محمد خلف و د. محمد زغلول (ص: 23).

[112] ذكر هذا الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن دار الفكر – بيروت (ط سنة 1408هـ)، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، (105/2) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الزركشي، البرهان)، وذكره أيضا السيوطي، في الإتقان (7/4).

[113] ذكره الباقلاني، أبو بكر محمد الطيب (ت: 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق عماد أحمد حيدر، دار الفكر بيروت (ط1406/1هـ) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الباقلاني / إعجاز القرآن) والإيجي في المواقف (398/3)، وهو في البرهان (105/2)، والإتقان (7/4).

[114] ذكره الزركشي، البرهان (2 / 105)، والسيوطي، الإتقان (4 / 7) ولم يعزه.

[115] الإيجي، المواقف (3 / 98).

[116] ذكره الزركشي في البرهان (2 / 105)، ونقله السيوطي في الإتقان (4 / 7) ولم يعزه.

[117] ذكره الباقلاني في إعجاز القرآن (ص: 53).
[118] ذكره الإيجي في المواقف (3 / 398).
[119] الإيجي، المواقف (3 / 398).
[120] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ) الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن دار المعارف – مصر (ط2 / 1387هـ) تحقيق د. محمد خلف الله، و د. محمد زغلول (ص: 148-149) وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الجرجاني، الرسالة الشافية).
[121] المرجع السابق (ص: 151).
[122] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ) دلائل الإعجاز، مكتبة سعد الدين (ط2 / 1407هـ)، تحقيق د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية (ص: 357)، وسيشار إليه لاحقاً هكذا (الجرجاني، دلائل الإعجاز).
[123] الجرجاني، الرسالة الشافية (ص: 151).
[124] الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص: 357).